# نظرية التلقي في الأدب الرقمي

**فوضيل عدنان**

**جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر**

**مقدمة:**

فتحت التكنولوجيا آفاقا واسعة أمام البشر، الأمر الذي ترك أثراً قويا على العلاقات في شتى المجالات، هو أثر أحدث تغييرا جذرياً في العلاقات التواصلية، وكذا تغيير في جلّ المفاهيم، فقرّب البعيد، وجعل من العالم قرية صغيرة معروفة المعالم انمحت معها كلّ الحدود الجغرافية المعروفة وكذا الفوارق العرقية.

لم يُستثن الأدب من هذا التطور، بل كان ولابد من مسايرة هذه التكنولوجيا، بوصفهما – التكنولوجيا/الأدب– يشتغلان معاً في حقل التواصل ولو بطرق مغايرة؛ هذه المزاوجة بين الحقلين أنتجت ما سمّاه النقاد "لأدب الرقمي" بمفاهيمه الجديدة والمختلفة عن مفاهيم الأدب التقليدي، بدءاً بمفهوم النص، فالكاتب وصولا إلى عملية التلقي.

يمزج الأدب الرقمي بين عدّة أشكال تعبيرية، إذ يمكن لعمل واحد أن يتضمّن الصوت (الشفهي) بوصفه يلعب دوراً مهما في إيصال الأفكار والأحاسيس بطريقة مباشرة، كما يتضمن الكتابة إذ رغم اللاخطية التي يعتمدها النص الرقمي في بنائه، إلاّ أن الكاتب في هذا الفضاء لا يستطيع الاستغناء عن



المنارة للاستشارات

الكتابة كوسيلة تعبيرية، لكنها في نفس الوقت لا يمكن أن تكون الشكل الوحيد وإلا غابت صفة الرقمية عن العمل الإبداعي.

كما نجد الصورة، إذ من خصوصيات العصر الرقمي هو ظهور الصورة بأنواعها في الأعمال الإبداعية، وتحوّلها في معظم هذه الأعمال إلى خطاب بديل عن الكتابة والشفاهة.وفي الأخير نجد الحركية(الإخراج) حيث يتميز الأدب الرقمي اعتماده لتقنيات الإخراج السينمائي، وهذا لما توفّره شاشة الحاسوب من مساحة تمكّن المؤلف من تطبيق هذه التقنيات بكل حرية، إذ أصبح يستعمل الصورة المتحركة أو الفيديو كتيمة أخرى مدعمة أو شارحة، يسهّل من تلقي العمل الإبداعي.

هذا التنوع التعبيري و كذا الخاصية الرقمية في الأدب الرقمي أسفرا عن خاصية جديدة في عملية التلقي وهي ما أسماه النقاد ب: التفاعلية، وهي التي تمنح المتلقي صفة المساهم في البناء النصي، مكسّرة بهذا سيمات التلقي التقليدية المعروفة، و طبعاً أحدث هذا تغييراً كلياً في آليات التواصل المعهودة.

**1/ مفهوم الأدب الرقمي:**

يحتل الأدب الرقمي في العصر الحالي مكانة كبيرة عند النّقاد، بوصفه ينفتح على تساؤلات عديدة تتمركز كلّها حول مفاهيم النص والتأليف والتلقي، هذه العناصر أحدث فيها مصطلح الرقمنة تغييرات جذرية، ولم تعدْ مثلما عرفتها النظرية الأدبية الحديثة، فالمفاهيم الجديدة للنص تتجاوز اليوم على حدّ تعبير "سعيد يقطين" "المعارف المتحققة بصدده، وشرعت تطرح بدائل أو إبدالات جديدة



المنارة للاستشارات

في التحديد والتنظير. من هذه المفاهيم الجديدة نجد: النص الإلكتروني، النص الرقمي، النص المترابط، السيبرنص."[1]

يتخذ الأدب الرقمي لنفسه حيّزا مفهوميا واسعا ينطلق من التقنية الرقمية بحد ذاتها، وتتبني جلّ المفاهيم المنضوية تحت المصطلح – الأدب الرقمي– انطلاقا من العمليات التواصلية المعقدة داخله، متخذة بذلك تشكيلات علائقية بين عدّة أشكال تعبيرية كالرواية، أو القصة، أو الشعر، إضافة إلى العنصر الأساسي وهو الصورة بشكليها المعهودين "القار والمتحرك".

فهو "توليفة من النص اللغوي الطبيعي مع قدرات الحاسب للتشعب أو العرض الديناميكي، فهو غير خطي Non Linear لا يمكن طباعته بسهولة على الصفحة التقليدية"[2]

ويقصد بمصطلح اللاخطية هنا هو النقيض الصحيح لمصطلح الخطية، بوصف أن هذا الأخير هو "السير من مكان إلى آخر في مسار محدّد سلفاً والمضي قدماً صوب نهاية أو خاتمة؛ ذروة أو أوج؛ مركز"[3].

ويؤكد سعيد يقطين هذا المنحى حيث يسلط الضوء على طبيعة الحاسوب كوسيط والذي "يستدعي بالضرورة تنظيما آخر للمادة الحكائية يراعي طبيعة هذا الوسيط الذي يختلف عن اللسان والكتاب فكانت التضحية بالخطية لفائدة اللاخطية، ولكي تتحقق هذه اللاخطية لابد من استعمال الروابط بين عناصر النص ومكوّناته"[4].

فالروابط هي التقنية التي تجمع بين أجزاء النص بمختلف أنواعها، وحينما نشير هنا إلى الأنواع فنحن نتحدث عن خصوصيات العمل الرقمي والذي يتعدى



المنارة للاستشارات

خصوصيات العمل الأدبي التقليدي، والذي يعتمد فقط على اللغة الأدبية.أحدث هذا الاختلاف تغييرا على كل المصطلحات نذكر على سبيل المثال:

- الكتابة ويقابلها في النص الرقمي/ التأليف.
- القراءة ويقابلها في النص الرقمي / المعاينة[5].

**1-2/ خصائص الأدب الرقمي:** يمزج الأدب الرقمي بين عدّة أشكال تعبيرية، تتحد كلّها لتشكل جسد النص في تناغم يثير المتلقي، إذ يمكن لعمل واحد أن يتضمّن:

**الصوت:** يلعب الجانب الشفهي دوراً مهما في إيصال الأفكار والأحاسيس بطريقة مباشرة، وهي الطريقة التي عهدها الإنسان منذ القديم، فالشفاهة ساهمت بشكل واسع في تكوّن المجتمعات والثقافات، مما يسهل إلى حدّ كبير في تمرير الرسائل التي يمكن أن يتضمنها العمل الإبداعي.

**الكتابة:** رغم اللاخطية التي يعتمدها النص الرقمي في بنائه، إلاّ أن الكاتب في هذا الفضاء لا يستطيع الاستغناء عن الكتابة كوسيلة تعبيرية، لكنها في نفس الوقت لا يمكن أن تكون الشكل الوحيد وإلا غابت صفة الرقمية من العمل الإبداعي.

**الصورة:** من خصوصيات العصر الرقمي هو ظهور الصورة بأنواعها في الأعمال الإبداعية، وتحوّلها في معظم هذه الأعمال إلى خطاب بديل عن الكتابة والشفاهة، وهذا راجع إلى الدقة والسرعة التي تميز الصورة في إيصال المعلومات.



المنارة للاستشارات

**الحركية(الإخراج):** يتميز الأدب الرقمي باعتماده لتقنيات الإخراج السينمائي المتعددة، وهذا لما توفره شاشة الحاسوب من مساحة تمكّن المؤلف من تطبيق هذه التقنيات بكل حرية، إذ أصبح يستعمل الصورة المتحركة أو الفيديو كتيمة أخرى مدعمة أو شارحة، يسهل من تلقي العمل الإبداعي، ولعل الفيلم السينمائي اليوم له خصوصيات مميزة تجعله ذا إقبال كبير من طرف الجمهور، وهو ما يمنح نفس الخصوصيات لدى متلقي النص الرقمي.

**2/ الكاتب/المتلقي وسؤال النص الرقمي:**

لقد تحدث الناقد سعيد يقطين عن أهمية الأدب الرقمي، كما يؤكد في كلّ مرّة عن ضرورة الانفتاح على الوسائط المتفاعلة، «وذلك عن طريق الاشتغال بالنص المترابط، والنص الالكتروني، ومختلف الإنتاجات التي تتحقق عن طريق الحاسوب والفضاء الشبكي والتي بدأت تعرف في الواقع العربي اهتماماً متزايداً من لدن فئات واسعة من القراء»[6] .

باءت الدعوة إلى الاستعانة بالوسائط ضرورة من ضروريات العالم المعاصر، كما أنّ النص بشكله الورقي (التقليدي) لم يعد يثير القراء، وبالتالي فلقد « حان الوقت للاستغناء عن الموسوعات التي تتخذ شكل كتاب والاستعانة بالوسائل الالكترونية الحديثة(...)، ويمكن تخزين موسوعة كاملة على أسطوانة مدمجة واحدة»[7].

إن التغير الذي مسّ شكل النص من حالته الورقية التقليدية إلى الحالة الرقمية أو الالكترونية الجديدة أثّرت أيضاً في المفهوم العام للنص. وهذا ما يؤكده "سعيد يقطين" بقوله: « يبدو لنا ذلك واضحاً بجلاء في ظهور مفاهيم جديدة



المنارة للاستشارات

للنص، تتجاوز المعارف المتحققة بصدده، وشرعت تطرح بدائل أو إبدالات جديدة في التحديد والتنظير.من هذه المفاهيم الجديدة نجد: النص الالكتروني، النص الرقمي، النص المترابط، السيبرنص (...)، إنها مفاهيم جديدة متنوعة ومتعددة تتقارب دلالاتها أحياناً كما أنها تتداخل وتختلف أحياناً أخرى، لكن ما يجمعها كلها هو أنها وليدة وسيط جديد: هو الحاسوب»[8].

هذا الاقتران بالوسيط الجديد، جعل النص يحمل تسميات جديدة ومختلفة، ولكن هذا التنوع في المصطلحات ليس تنوعا اعتباطياً، فكل تسمية (للنص) لها دلالات ومميزات خاصة بها، تجعل النص مختلفاً عن نص آخر، فالنص الرقمي يختلف تماماً عن النص الالكتروني حتى وإن اقترنا بالحاسوب، « وإن كانت الضرورة تستدعي التمييز بين النص الرقمي والالكتروني، فإن هذا الأخير يكتفي بنقل النص الورقي إلى الحاسوب، أما الرقمي في تصورنا، فهو الذي يقوم على الترابط»[9].

نفهم من هذا التمييز أنّ هناك نوعين من النصوص الجديدة:

**الأوّل:** ويتمثل في ما يسمى ب "النص الالكتروني"، وتندرج فيه الروايات والقصص... المكتوبة على الورق سلفاً والتي تمّ إدخالها إلى الحاسوب كبديل عن قريناتها الورقية، وهي طريقة يعتمدها أكثرية الكتّاب والمؤلفين وهذا قصد تسهيل عملية اقتناء هذه الأعمال وتقريبها أكثر من القارئ، والفرق بينها وبين المؤلفات الورقية أنها تظهر على شاشة الحاسوب، بشرط أنّها تبقي على نفس خصوصيات الأعمال المطبوعة ورقيا كالخطية مثلا.



المنارة للاستشارات

**الثاني:** هو "النص الرقمي"، فلديه مميزات مخالفة تماما عن النص الالكتروني، كميزة "الترابط" والتي تجعل من القارئ مشاركاً فعّالاً في بناء الأحداث، بحيث أنّه «من قبل كان قارئ الرواية في الكتاب يكتفي بمتابعة الأحداث وأدوار الشخصيات. أما اليوم فإن بوسعه أن ينسج عالماً روائياً يحرك شخوصه كما يشاء، بامتلاكه التقنية الالكترونية التي تتيح له اختلاق ما لا يتناهى من العوالم عبر التوليفات العددية.»[10].

بالتالي فإن القارئ يمتلك مطلق الحرية في تعامله مع النص الروائي، وذلك باختياره المداخل التي يريدها للولوج إلى الرواية، كما يمكن له تحريك الشخوص بكل حرية، وفي عوالم متعددة، وهذه الخاصية الجديدة تجسّد عملية تفكيك النصوص وإعادة تركيبها، مثلما يؤكده "علي حرب" في حديثه عن" النص الفائق بقوله: «"النص الفائق" يتألف من سيول مضيئة وخطوط متلاشية وحروف متحركة، بالإضافة إلى كونه يتمتع بأبواب ومفاتيح تتيح الولوج إليه لتفكيكه و إعادة تركيبه، لا من حيث معناه وبنيته الدلالية بل من حيث جسده وتسلسله العلاماتي والحروفي»[11].

وهذا يجعل القارئ أو المتلقي في حالة من التفاعل مع النص ما أنتج نوعا جديدا من الأدب أسماه النقاد والدارسون ب: "الأدب التفاعلي"، وتعرفه "فايزة يخلف" بأنّه «الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة، خصوصاً المعطيات التي يتيحها نظام النص المتفرع HyperText في تقديم جنس أدبي جديد، يجمع بين الأدبية والالكترونية، ولا يمكن لهذا النوع من الكتابة الأدبية أن



المنارة للاستشارات

يتأتى لمتلقيه إلاّ عبر الوسيط الالكتروني(...)، ويكتسب هذا النوع من الكتابة صفة التفاعلية بناء على المساحة التي يمنحها المتلقي»[12].

ونلاحظ في مختلف التعريفات التي قدمت للنص الرقمي أنها تنصب تقريبا أو تتقاطع مع المتلقي، وهذا ليس بخطأ بوصف أنّ الازدواجية الوظيفية بين المؤلف والمتلقي الرقميين تجعل من المؤلف قارئاً ومن القارئ مؤلفاً في هذا النوع الجديد من الإبداع.

إن الكاتب الرقمي في هذا النص الرقمي قد اكتسب تقنيات جديدة فرضتها الرقمنة، فدوره لا يقتصر على استعمال اللغة الأدبية فقط بل (ينقل النص من مرحلة الكمون إلى التجلي النصي والعلاماتي، وبعدها يضع التصور الذي سيكون عليه من خلال تصميم أجزائه ومكوّناته وتنظيم علاقاته، وأخيرا ينقل النص والتصور من خلال برنامج معين ليجعله قابلا للرؤية والقراءة على الشاشة)[13].

وبهذا يتعدى مفهوم المؤلف الرقمي ذلك المفهوم التقليدي، والذي تقتصر عنده عملية التأليف على معرفة اللغة الأدبية.

**3/ المتلقي الرقمي:**

إن الحديث عن الأدب الرقمي وخصوصياته التي تختلف عن خصوصيات الأدب التقليدي، تجرنا للحديث عن كلّ العناصر المكوّنة لهذا الصرح، فإذا أخذنا المتلقي باعتباره العنصر الأخير الذي تنتهي عنده عملية التواصل، فحتما سيتغير مفهومه بتغيّر مفاهيم كل من المؤلف والنص في الأدب الرقمي. اكتسب بالتالي المتلقي هو أيضا مفاهيم جديدة، ارتبطت بخصوصيات



المنارة للاستشارات

الرقمنة، ليفتح المجال أمام العديد من التساؤلات الجوهرية: فمن هو المتلقي الرقمي؟، ما هي أدواره في العملية الإبداعية الرقمية؟، ما نوع العلاقة التي تربطه بالنص والمؤلف الرقميين؟.

**3-1/ مفهوم المتلقي في الأدب الرقمي:**

إن طبيعة تشكّل النص الرقمي المعقدة، والمتكوّنة من تقنيات الحاسوب والبرمجة، والتي يتوجب على مؤلف النص الرقمي أن يكون عالما بها، تستلزم من المتلقي "امتلاك نفس آليات الثقافة الرقمية، وهذا يفترض على القارئ أن يمتلك هو الآخر – شانه شأن المؤلف الرقمي– نفس إمكانيات الثقافة الرقمية"(14).

لكن المتلقي الرقمي لا يكتسب هذه المعرفة الرقمية فقط من أجل تلقي النص الرقمي – مثلما تعوّد مع النصوص التقليدية، والتي جعلت منه متلقياً سلبياً–، لكنه يقوم بنفس العملية التي يقوم بها المؤلف الرقمي وهذا " من زاوية مختلفة، إنه يضطلع بوظيفة المتلقي، لكنه المتلقي الفاعل والمتفاعل في آن، فهو يكتب، ويحرك مختلف معارفه ومداركه للكشف عن خصوصية النص المتجلي المبني على الترابط النصي، والذي يسمح له بخلق "نص"ه الخاص به من خلال عملية تواصله مع النص"(15).

ومنه لم يعد فعل القراءة هو السائد في ظل ميلاد أشكال تواصلية متطورة تستدعي آليات جديدة، وهذا زحزح فكرة المتلقي التقليدي على حدّ قول "مصطفى الضبع" « متجاوزين الفكرة السائدة بأن المتلقي هو القارئ فقط، فإذا كان هذا المفهوم مناسباً لعصر القراءة فإنه لا يتناسب تماماً مع عصر مغاير يعتمد على



المنارة للاستشارات

آليات جديدة مفارقة إلى حدّ كبير للآليات القديمة، لذا فإن مجال الكمبيوتر وتطبيقاته وشبكة الأنترنت تخلق متلقياً جديداً تنمي فيه أشكال أخرى للتلقي»[16].

ولاشك في أنّ هذه الآليات الجديدة التي خلقت متلقياً جديداً، قد طوّرت من الفعل التواصلي وهذا بإدخال خصائص متنوعة لجذب اكبر عدد ممكن من المتلقين، والمعروف أنّ الفعل التواصلي تتوسطه الرسالة بوصفها حاملة المعلومات من المرسل إلى المرسل إليه، ولكي تحدث عملية الفهم/التلقي، كان لابد من استعمال شتى الوسائل الإفهامية. ولعل النص الرقمي المتميز والذي يتوفر على كلّ الأشكال التعبيرية التي أنتجها الإنسان إلى حدّ اليوم، يجيب عن كل هذه الاحتياجات التي يمارس من خلالها الفعل التواصلي.

**3-2/ خصائص التلقي الرقمي:**

أ/ **المشاهدة:** من المميزات التي يمنحها النص الرقمي، أنه يحوي تقنيات كثيرة بدءا باللغة الأدبية، وترابط الأخبار، وتوفير إمكانات بصرية و صوتية، وكل هذا يضع المتلقي في موقع المشاهد المشارك والذي يجد المتعة الكاملة في هذا المزيج الفني والفائق أثناء عملية البناء النصي. وحينما نتحدث عن المشاهدة فحتما سنشير إلى تقنيات الفيديو، والتي تتداولها معظم النصوص الرقمية، نحن نتحدث عن تقنيات معقدة مرتبطة بالصناعة السينمائية، كالتصوير، والإضاءة، واللقطة، وغيرها...

**ب/ الاستماع:** تبنىّ النّص الرقمي خاصية الاستماع كآلية أخرى من آليات التواصل، ولعلّ ما يميز هذه الخاصية أنّها تمنح المتلقي فرصة استعمال



المنارة للاستشارات

حاسية أخرى من حواسه، والتي تمّ كبحها في الأدب التقليدي، مثلها مثل باقي الحواس الأخرى.

**ج/ خاصية الرد والتعليق:** إنّ ما يميز الفضاء الافتراضي هو خاصية التواصل، ويفتح هذا الفضاء عدة إمكانيات للتعبير والتواصل بين الأفراد، ولقد عمد الكاتب الرقمي إلى ضرورة توظيف هذه الخاصية في نصوصه الرقمية لجعل القارئ يشارك ويتجاوب مع النص والكاتب، وذلك بإعطائه فرصة التعليق والرد على محتويات النص أو القصة وأحداثهما.

**ج/ التفاعلية والمشاركة في البناء النصي (أنواع التلقي):**

المعروف عن النص الرقمي أنه يمنح القارئ حرية الدخول من مداخل لا متناهية، وهذه التقنية تؤدي إلى تعدد النصوص بتعدد بداياتها ونهاياتها، وتختلف من قارئ إلى آخر، هذا ما يجعل من القارئ مساهماً في البناء النصي، إذ هو الذي يختار البداية المثلى للنص، وهو الذي يقوم بعملية الترابط من فقرة إلى أخرى. وتتحدد من هذا أنواع تلقٍ مختلفة، والتي توضّحها الباحثة "إيمان يونس" فيما يلي:

يتطلب إنتاج أي نص قارئاً له، إذ لا يمكن أن نفصل الأوّل عن الثاني بأيّ شكل من الأشكال وهو ما يؤكده " رولان بارت" بقوله: «لا يمكن أن يوجد سرد بدون سارد وبدون مستمع أو قارئ»[17]. وهذه العلاقة نجدها في كل أنواع النصوص بما فيها النص الرقمي، ولكن تختلف قراءة هذا النص مقارنة مع النص العادي التقليدي، بحيث أنه «نتيجة لطبيعة تشكل النص الرقمي، فإن قراءته تستلزم امتلاك نفس آليات الثقافة الرقمية.



المنارة للاستشارات

وهذا يفترض على القارئ أن يمتلك هو الآخر– شأنه شأن المؤلف الرقمي– نفس إمكانيات الثقافة الرقمية. مما يعني أن منتج النص الرقمي ومتلقيه يستعملان نفس التقنيات الرقمية، وفي هذا اختلاف بين الرقمي والنصوص الشفهية والمطبوعة ورقياً».[18] ويمكن لنا أن نستنتج ثلاثة أنواع من التلقي خاصة بالأدب الرقمي:

**الأول:** ذلك التلقي الذي يبني فيه النص من خلال روابط إبحاره وبين الروابط التي يتضمنها النص، فالمتلقي المبحر هو الذي يختار بين الروابط العديدة والإمكانيات المختلفة التي يتيحها النص، فيشكل نصا جديدا من حيث البناء والسيرورة والتشكيل، كما تمليه عليه رغباته وحب استطلاعه وفهمه. هذا المتلقي يحقق إبداعه من خلال إسهامه في العملية نفسها حيث لا يبقى مكتفيا بمتابعة النص، بل يبني ويصوغ بطريقته الخاصة وهو ينقر على الفأرة ويتحرك في جسد النص الذي يقرأه بكل حرية.

**أما الثاني:** المتلقي الذي يملك مطلق الحرية في الإبداع وذلك حين يشارك هو في كتابة النص حقيقة، دون أن يكون مقيدا بالاختيار من بين إمكانيات متاحة، ونجد مثل هذا المتلقي في النصوص الجمعية، وهي التي تطلب من المتلقي أن يشارك في بناء النص وكتابته.

**وأخيرا:** التعليق، وهو شكل هام من أشكال التفاعل، وفيه «يستطيع المتلقي التعليق على النصوص التي يقرأها بشكل مباشر على الشبكة[19].

وتؤكد كل هذه التعاريف الميزة الأساسية التي يتسّم بها النص الرقمي ألا و هي التفاعلية بوصفها عملية المشاركة التي يقوم بها المتلقي أثناء قراءته للعمل



المنارة للاستشارات

الإبداعي، إذ أنه يشارك في تحديد مسارات النص حسب رغباته وميولاته من خلال التفريعات التي يوظفها النص.

**د/ نظرية التلقي وكسر التلقي التقليدي:**

اهتمت النظرية الما بعد البنيوية بموقع القارئ اهتماماً كبيراً، إلى حد إغفال دور المؤلف والاهتمام فقط بعملية التلقي، ولقد ترجم معظم منظّري الأدب الرقمي هذا التوجه معبرين عن توافق هذا الطرح مع خصوصيات هذا الجنس الجديد، باعتباره يسجل غياب سلطة المؤلف بمجرد التقاء النص الرقمي بالمتلقي.

لكن صفة التفاعلية التي تتسّم بها معظم النصوص الرقمية، والتي تسمح للمتلقي بإحداث تغييرات في جسد ومتن النص، جعلت من هذا المتلقي مؤلفاً ومنتجا ثانياً للنص، فهل ميلاد هذا المؤلف في العلاقة الممارسة بين المتلقي والنص تعني إعادة بعث جديدة للمؤلف، وبالتالي نقض مقولة "موت المؤلف"؟، أم أنّها تنصّب في المفهوم المتداول عند رواد المابعد بنيوية من أمثال رولان بارت، ميشال فوكو، وحديثهما عن المستهلك الإيجابي؟. من هنا سنحاول معالجة هذه النقطة انطلاقا من مدخلين نظريين مهمين:

**الأوّل:** انصبت نظرية التلقي على الدور الذي يلعبه هذا الأخير في العملية الإبداعية بصفة عامة، إذ تصفه بالعنصر التأويلي الشارح لما أنتجه المؤلف بوصفه عنصراً توليديا، إذ "لا يوجد نص قبل عملية القراءة.فالنص يولد حينما يقرأه الآخر، أي القارئ.النص فراغ بعضه فوق بعض والقارئ هو الذي يملأ هذا الفراغ، إنّه هو الذي يقيّمه وينشئه وينتجه"[20].



المنارة للاستشارات

فالنص يتولد خارج سلطة المؤلف، وبالتالي انتقال هذه السلطة إلى المتلقي باعتباره منتجاً/ مشاركاً في الإنتاج وهي آلية من آليات الأدب الرقمي.وبالتالي إثبات لمقولة موت المؤلف، وجعل المتلقي مستهلكاً إيجابياً لا سلبياً، كما تنادي به الآراء الما بعد بنيوية.فالمستهلك الإيجابي هو الذي يمارس الوظيفة الإفهامية، إذ يختفي المؤلف بمجرد أن يبدأ المتلقي في معينة النص الرقمي.

**الثاني:** كسر مقولة أفق انتظار القارئ بوصفه مجموع الآثار الأدبية لقراءات سابقة من نفس الجنس الأدبي، تهيء المستقبِل لتلقي النص الجديد، ممّا يدفعه إلى خلق توقعات معيّنة. ولكننا نلاحظ أنّ هذا المفهوم لا ينطبق بصورة تامة على الأدب الرقمي، بوصف أن الأدب الرقمي يمنح للمتلقي حرية اختيار المداخل والنهايات وترتيب الشخصيات...، أي أنّه مهيأ قبلا على عدم خلق التوقعات، أو بعبارة أخرى تغيير شكل هذا الأفق على حد تعبير محمد حمود والذي يرى أنّ هناك "من الأعمال الأدبية والفنية ما يستجيب لأفاق انتظارنا، وذلك حين تتطابق توقعاتنا واحتمالاتنا مع واقع العمل، ومنها ما يخيّب أفق انتظارنا كلما كانت تخميناتنا مخالفة لواقع هذا العمل، ومنها أخيراً ما لا يقف عند حدود تخييب الأفق الخاص، بل يتجاوز ذلك إلى تغيير شكل هذا الأفق من اجل تزويدنا بأفق جديد لم نكن لنحسب له حسابا"[21].

هذا الأفق الجديد يتشكل مع عملية القراءة، فالمتلقي الرقمي في غنى عن مصطلح الانتظار، لأنه وبكل بساطة يساهم في البناء النصي أي التفاعلية، وبهذا " يفقد المؤلف في وضعية النص المترابط، اعتقاده بالتحكم في أفق انتظار القارئ، وفي طريقة الكتابة التي يرغبها القارئ أو ينتظرها."[22].



المنارة للاستشارات

فالتفاعلية تمنح للقارئ الحرية ليس فقط في اختيار بالبدايات والنهايات، بل تمنحه حرية بناء أفق انتظاره بنفسه، فهو– المتلقي– يلعب دور القارئ في بداية النص ثم تتغير وظيفته من التأويلية إلى التوليدية، أي أنه يصبح مؤلفاً من خلال الخصائص التي تميز العمل الرقمي. فالنص "هو تلك الحلقة، أين يدور من خلالها ويتحرك الوجه الداخلي والوجه الخارجي، وجه الدال ووجه المدلول، وجه الكتابة ووجه القراءة. بحيث يتم التبادل بين الجميع بلا هدنة ولا انقطاع، هناك حيث لا تملّ الكتابة أن تكون قراءة مستمرة، وأين لا تملّ القراءة من أن تكتب باستمرار "[23].

منه فالأدب الرقمي يصنع من القارئ مؤلفاً ثانياً، وهذه إشارة واضحة إلى إمكانية عدم جدوى مقولة موت المؤلف التي نادى بها الفكر الما بعد بنيوي، بل أصبح المؤلف الرقمي مخلوقا حياً ومتحركاً بفعل ممارسة عملية التلقي، فالتلقي هو الذي يحدد عملية التأليف، وهذا بارتباطه بفعل التفاعلية.كما يمكن أن نشير إلى نقطة مهمة في الأدب الرقمي التفاعلي، وهي وجود نصوص تستوجب التواصل المستمر بين المؤلف والمتلقي في شكل رسائل نصية الكترونية، وهي خاصية من خصائص بعض النصوص الرقمية، إنبنت على أساس التواصل المستمر.

تطرح في هذا الصدد الباحثة زهور كرام سؤالا جوهريا حول المتلقي بقولها "هل في هذا، تطوير للرؤية النقدية التي تبحث عن لاوعي القراءة والقارئ، بعدما كان البحث في لاوعي الكاتب والجماعة التي يحكي من خلالها أو يعبر عنها الكاتب؟ "[24].



المنارة للاستشارات

إن كان هذا التساؤل مشروعاً؟، وإذا كان التنظير الأدبي الرقمي ما يزال يجعل من القارئ الرقمي مؤلفاً؟، وبالتالي البحث في لاوعي القارئ الرقمي بوصفه مؤلفا، فهل هي دعوة للنظريات ما قبل بنيوية والتي تمرست كثيراً في دراسة المؤلف للعودة وممارسة قوانينها النظرية؟ تبقى الإجابة عن هذه الأسئلة محفوفة بمخاطر منهجية وتنظيرية عديدة.

**4/ استراتيجيات التواصل الرقمي:**

يعتبر التواصل من المصطلحات التي عُنيت بالدراسة من طرف معظم الباحثين، وفي شتى المجالات، بوصفه فعل فردي يبين العلاقة بينه وبين الآخر، ويُقدَّم أساسا " أنّه فعلٌ واعٍ وإرادي يتوقف على رغبة الفرد في إيصال معلومات محدّدة إلى الآخر المنزوي في عزلة في الاتجاه المقابل. مع العلم أنّ للتواصل طابعاً إجبارياً، يعتبر كلّ فعل أو قول مادته، كالصمت والحركة كما يحمل في ثناياه بنية الفرد الذهنية اللاشعورية(...) التي تشكل مادة التواصل الأولى والأخيرة"[25]. ويقدم لنا الباحث "برنارد توسان"، خُطاطة يبيّن فيها عملية التواصل والذي يركّز على عملية الفعل الراجع أو Feed –Back، وهي على الشكل التالي:



المنارة للاستشارات

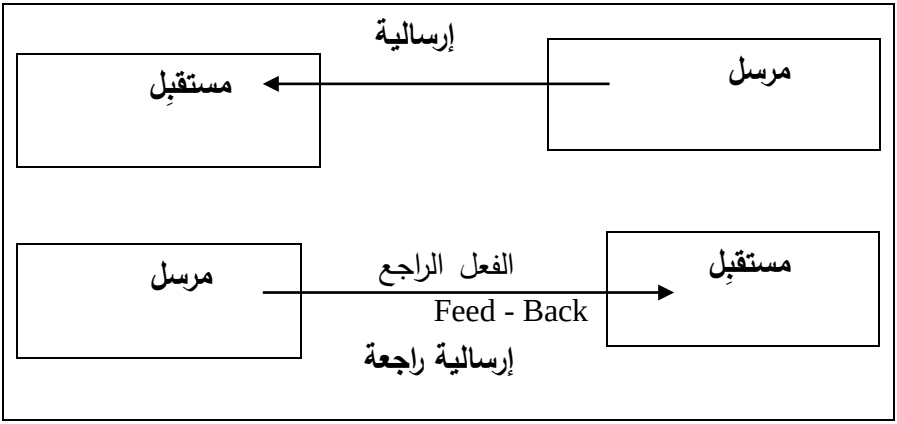


**الخطاطة**[26]

ويشرحها بقوله: "هاته الخطاطة تفسر مفهوم التواصل إذا أرسل مرسل نحو مخاطبه الملقب بالمستقبل إرسالية في شكل ما: إذا تكلم، أو رسم، أو كتب، أو قام بحركة، هناك فعل تواصلي، إذا فهم الإرسالية وتمكن من الإجابة عن الخبر على شكل إرسالية راجعة (تسمى بالفعل الراجع Feed – Back) ويصبح بدوره مرسلاً، والتبادل اللانهائي لهذا الشكل من العلاقة يحقق ما نسميه بالتواصل"[27]

وهو الأساس الذي تقوم عليه معظم النصوص الرقمية وهي التفاعلية والترابطية، وبالتالي تبادل الأدوار بين المؤلف والمتلقي، ومنه تتبني استراتيجيات تواصلية فريدة في هذا الجنس الجديد، والتي تبنى عليها العلاقة التواصلية بين المؤلف/النص/المتلقي.

ولقد حاول معظم المؤلفين الرقميين توظيف هذه التقنية في مجمل أعمالهم، كما وسّعوا من فرص التفاعل بتوسيع دائرة الفنون المستغلة في عمل واحد، ليس إلا لمجرد تفاعل وتواصل أوسع، ومن بين الكتاب المعروفين في هذا



المنارة للاستشارات

المجال نجد الكاتب الأردني "محمد سناجلة" بأعماله الروائية الرقمية الرائعة كرواية "ظلال الواحد"، رواية "صقيع"، ورواية "شات"، كما نجد أيضا عدّة محاولات أخرى لكتاب من أمثال القاص المغربي "محمد أشويكة" وله عدّة أعمال نذكر منه قصته "احتمالات"، وقصة "محطات".

**أ/ التواصل السردي/المشهدي**

وكقراءة في رواية "صقيع" لمؤلفها/مخرجها محمد سناجلة، فنجد أنّه قد اعتمد تقنية المزج بين مختلف الخطابات لتسهيل تلقي هذا العمل، والتنويع كذلك من استراتيجيات التواصل لتمرير وتأكيد الحالات التي يعيشها بطل الرواية، فلم يكن مزجه للسرد/الكتابة بالصورة المتحركة عبثيا، وإنما جاء كتعميق للمعنى، فالصورة تعتبر لغة واصفة للكتابة، هي تقوم على التمثيل والمشابهة، كما أنها تكثّف من حجم المعلومات.

ولقد اعتمد في هذا العمل على بناء روابط بين السردي والمشهد السينمائي، وهي روابط جاءت بلون مغاير للون الكتابة (أزرق)، يجذب المتلقي للنقر عليه والتفاعل معه، ومجرد فعل ذلك تنتقل الرواية بالمتلقي إلى عالم آخر من عوالمها الكثيرة، سواء إلى عالم السينما، أو عالم الشعر أو الغناء والموسيقى. ففي "صقيع تسبق الصورة المشهدية اللغة السردية والوصفية التي تأتي كبعد سردي لاحق للصورة والصوت من اجل حكي ما تمّ حكيه سابقاً"[28].

يرتكز إذاً هذا التحوّل من الصيغة السردية إلى صيغته الجديدة كمشهد سينمائي يمارس إستراتيجية تواصلية ثانية انطلاقا من الروابط التي تنقلنا من عالم إلى آخر داخل الرواية وهي عشرة روابط: (قمت اجر نفسي، الجدار يترنح



المنارة للاستشارات

تحت يدي، فجأة انضم السقف إليها، وصلت إلى الفراش، كم احتاجك الآن، انضمت أسِرة كثيرة، ما بقا لي قلب بعدك، امتدت يد في الظلام، فتحت عيني بصعوبة، يا الله عفوك).

كل واحدة من هذه الروابط بنيت على أساس تواصلي داخلي ينتقل من الفعل التواصلي السردي إلى فعل تواصلي آخر يمكن أن يكون صورة أو مشهد سينمائي أو غيرها، ولو أخذنا مثالا عن ذلك وهو: (انضمت أسِرة كثيرة)، فالراوي أسبق هذه الجملة بسرد لهاجس الضياع الذي يعيشه في هذا الفضاء إلى حدٍّ تهيأ له أنّ السرير الذي ينام فيه قد طار في الهواء بعد أن سبقه إلى ذلك سقف الغرفة، وفي نفس اللحظة انضمت أسِرة كثيرة، وهي إشارة إلى أنّه ليس الوحيد الذي يعيش هذه الهواجس، أو حالة الاغتراب بين الواقعي والافتراضي

ولكي يؤكد هذا المنحى، دعم الجملة بتحويلنا من الحالة السردية/الكتابة إلى حالة أخرى وهي الصورة، بوصف أنّ هذه الأخيرة تقوم على أساس المشابهة والتمثيل، كما أنها تكثف المعلومات في ذهن المتلقي.

**ب/التواصل الشعري/الموسيقى:**

من بين الروابط المثيرة في هذه الرواية (ما بقا لي قلب بعدك)، إذ يختلف عن الروابط الأخرى، بوصفه لا ينقلنا إلى مشهد سينمائي أو إلى صورة كما فعل مع الروابط الأخرى، ولكنه ينقلنا إلى عنوان لقصيدة عن الأم وهو (بقايا) وتسميها الباحثة زهور كرام (استراحة من السرد)، إذ "تحدث وقفة للزمن السردي/الحكائي، والدخول في زمن الشعر.يفعل هذا الانتقال في زمن القصة، ويخلق تحولا على



المنارة للاستشارات

مستوى بلاغة القراءة. والوقفة الشعرية تدعم حضور الذات. وتشتغل إجراء فنيا يستحضر الذات باعتبارها الحاكية والمحكية."[29].

كما يقوم المؤلف في هذه المرحلة بإدخال لغة جديدة وهي لغة الموسيقى، والغناء وهو "نص غنائي طربي (أغنية وصوت محمد عبدو) يرافق بقايا وهي تتشكل أمام أعيننا حروفاً كلمات ومقاطع"[30]. كإستراتيجية جديدة للتواصل مع الآخر، وهي استراتيجية ثلاثية تنتقل من السردي إلى الشعري، ومنه إلى الموسيقي الغنائي.

**5 – خاتمة:**

توصلنا في آخر هذه الورقة البحثية إلى الخروج بمجموعة من النقاط الهامة و الخاصة بهذا الجنس الجديد، هي نتائج مرتبطة بالتقنية والتي أحدثت تغييرا في عدّة مفاهيم:

-من بين أولى النتائج التي خرجنا بها هي تغير في مفهوم النص، إذ لم يعد مفهوم النص التقليدي/الورقي يصلح للنصوص الجديدة، لأنها تختلف كلية من حيث المكوّنات، فالنص الرقمي يمتزج بين السرد/الكتابة، والصورة/المشهد السينمائي، وغيرها من التقنيات التواصلية العديدة، هذا المزج يفرض علينا مفهوما مغايراً للنص يرتبط بمفاهيم الرقمنة.

-مسّ هذا التغيير أيضاً المؤلف، فلم يعد المؤلف كاتبا عاديا يتقن اللغة الأدبية فقط، بل توجب عليه إتقان اللغة الرقمية (تقنيات الحاسوب، تقنيات الإخراج السينمائي، والمونتاج، ولإضاءة...)، أضف إليها طبعا اللغة الأدبية.



المنارة للاستشارات

-ولتلقي النص الرقمي توجب متلقيا عارفا هو أيضا بكل هذه التقنيات، خاصة مع صفة التفاعلية التي يمتاز بها النص الرقمي.

-توصلنا إلى أنّ الطرح الما بعد بنيوي حول المتلقي/ المستهلك الإيجابي تنطبق تماماً على المتلقي في الأعمال الرقمية، بوصف أنّه يشارك في عملية البناء النصي، إمّا ترابطاً أو تفاعلاً.

-إن الصراع بين مقولة موت المؤلف من عدمه، قد فتحت مع الأدب الرقمي مطارحات نظرية عميقة، يجعلنا معها هذا الجنس أمام سلطة حضور وغياب المؤلف، غياب إذا نظرنا إلى السلطة الممنوحة للمتلقي في هذا النوع من الأعمال كالحرية في الانتقال في جسد النص، وحضور لهذا المؤلف باعتبار أن المتلقي في عملية التفاعل والمشاركة في البناء النصي يتحوّل إلى مؤلف ومنتج للنص.

- في النموذج الذي اخترناه للدراسة ألا وهو رواية صقيع للمؤلف/المخرج محمد سناجلة، توصلنا إلى أنّ هذا النوع من النصوص يمارس استراتيجيات تواصلية متعددة، تتراوح بين السرد، المشهد السينمائي، الصورة، القصيدة الشعرية، الموسيقى، الغناء..، وهي استراتيجيات فرضتها الثقافة التكنولوجية المعاصرة، لتصبح سمة بارزة في إنسان القرن الواحد والعشرين، وهو الذي ينفتح على ما لانهاية من الميول والرغبات.



المنارة للاستشارات

**تهميش:**

1)- سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية،المركز القافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2008، ص 22.

2)- ناريمان إسماعيل متولي، " تكنولوجيا النص التكويني "الهيبرتكست" وتنمية الابتكار لدى الطلاب والباحثين، مجلة المكتبات والمعلومات العربية، ع1، تونس، يناير 1997، ص 06.

3)- اندراس كبانيوس: "النص التشعبي: إمكان القراءة الثلاثية الأبعاد"، النقد الأدبي على مشارف القرن الواحد والعشرين: العولمة والنظرية الأدبية، أعمال المؤتمر الدولي الثاني للنقد الأدبي، القاهرة، نوفمبر 2000، ص 355، 356.

4)- سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، نحو كتابة عربية رقمية، ص 70.

5)- المعاينة مصطلح بديل لفعل القراءة بالنسبة للنص الرقمي، فالقراءة خاص بالكتاب، بينما يفضل استعمال معاينة شاشة الحاسوب، وهو مصطلح مستعار من أحد منظري الأدب الرقمي وهو **فيليب بوتس philippe Bootz**.

6)- سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، نحو كتابة عربية رقمية، ص 52.

7)- فرانك كيلش، ثورة الأنفوميديا، تر: حسام الدين زكريا، مجلة المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 253، 2000، ص 405.

8)- سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، نحو كتابة عربية رقمية، ص 22.

9)- المرجع نفسه، ص 26.

10)- علي حرب، حديث النهايات، فتوحات العولمة ومآزق الهوية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط02، 2004. ص129.

11)- نفس المرجع ، ص140، 141.

12)- فايزة يخلف، الأدب الالكتروني و سجالات النقد المعاصر، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع 09، جامعة بسكرة، الجزائر، 2013. ص 101.



المنارة للاستشارات

13)- ينظر: سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، نحو كتابة عربية رقمية، ص 199، بتصرف

14)- زهور كرام، الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009، ص 38.

15)- سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، نحو كتابة عربية رقمية، ص 201.

16)- مصطفى الضبع، نص جديد ومتلق مغاير، قراءة في الملامح الجديدة للكتابة والتلقي، مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم، بورسعيد، مصر، 2005، ص 12.

17)- رولان بارت، التحليل البنيوي للسرد، تر: حسن بحراوي وآخرون، مجلة آفاق، اتحاد كتاب المغرب، ع 9/8، المغرب، 1988، ص 21.

18)- زهور كرام، الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، ص 38.

19)- إيمان يونس، تأثير الأنترنت على أشكال الإبداع والتلقي في الأدب العربي الحديث، دار الأمين للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، دط، 2011، ص 285، 289، بتصرف.

20)- فريدة زمرد، "أزمة النص في مفهوم للنص عند نصر حامد أبو زيد"، مطبعة آنفو-برانت، فاس، المغرب، د ط، 2005، ص 45.

21)- محمد حمود، تدريس الأدب، إستراتيجية القراءة والإقراء، دار الخطابي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، دط، 1993، ص 23.

22)- زهور كرام، الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، ص 55.

23)- Michel Charles, Rhétorique de la lecture, Edition du Seuil, Paris, 1977, p 86.

24)- زهور كرام، الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، ص 49.

25)- محمد عابد الجابري وآخرون، التواصل، نظريات وتطبيقات، سلسلة فكر ونقد، الشركة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، ط 01، 2010، ص ص12، 13.

26)- برنار توسان، ما هي السيميولوجيا، تر: محمد نظيف، أفريقيا الشرق للنشر، ط 02، المغرب، ص 10.

27)- المرجع نفسه، ص ن.



المنارة للاستشارات

28)- زهور كرام، الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، ص 97.

29)- المرجع نفسه، ص 85.

30)- المرجع نفسه، ص 100.



المنارة للاستشارات